

العقيدة هي الأساس والعبادة
هي البناء القائم على أصل العقيدة
أ. د. محمد بن أحمد الصالح^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله،
أما بعد :

فحديثنا اليوم عن العقيدة، والأسس التي تقوم عليها،
والأهداف التي تتحقق من خلالها . ولتكن بداية حديثنا
باستعراض جملة من الآيات الواردة في سورة الأنعام، التي عنيت
بشأن العقيدة وتركيزها، والتي تدل على عظمة الله وقدرته وبديع
صنعه، قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ
ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ
مَا سَكَنَ فِي الْإِلَهِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ

(١) وردت ترجمة للكاتب في العدد العاشر ص ٣٠٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآيات ١ - ٣ .

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾^(١)، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ إِخَيْرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٧﴾ وهو الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٢﴾^(٢)، وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴾ ﴿٣﴾^(٣)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿١٥﴾^(٤) فالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾^(٥) وهو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾^(٦) وهو الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ ﴿١٨﴾^(٧) ﴿٤﴾^(٨)، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١١٢﴾^(٩) لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٣﴾^(١٠)، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ﴿١٦﴾^(١١)، وبعث رسوله بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن ضيق الحياة إلى

(١) سورة الأنعام، الآيتان ١٣، ١٤ .

(٢) سورة الأنعام، الآيتان ١٧، ١٨ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٦٥ .

(٤) سورة الأنعام، الآيات ٩٥ - ٩٨ .

(٥) سورة الأنعام، الآيتان ١٠٢، ١٠٣ .

(٦) سورة الصف، الآية ٩ .

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

سعتها، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وكانت مهمة المصطفى صلى الله عليه وسلم الأولى هي ترسيخ العقيدة، وتأصيلها في النفوس؛ فهي المهمة الأولى، وهي القضية الكبرى فالعقيدة هي القاعدة الأساسية لإقامة هذا الدين، وهي الأساس، والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) لأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، يترتب عليه الانقياد له فيما اختاره ورضيه، وفيما أمر به وما نهى عنه .

فالعقيدة هي المدخل للإسلام وهي محوره والروح التي تسري فيه، وقد جاءت هذه العقيدة في سورتين موجزتين هما سورتا الإخلاص ﴿ قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ ﴾^(٢) و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٣) وهاتان السورتان جاءت فيهما خلاصة العقيدة، ولهذا جاءت السنة بمشروعية قراءتهما في ركعتي الفجر؛ ليبدأ المسلم حياته اليومية بتصفية نفسه، وإخلاص عقيدته وصدق توجهه إلى خالقه .

فالقرآن الذي ظل يتنزل على رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً كاملة يحدثه فيها عن قضية واحدة لا تتغير، ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر؛ ذلك أن الأسلوب القرآني يجعلها

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

(٢) سورة الكافرون، الآية ١ .

(٣) سورة الإخلاص، الآية ١ .

في كل عرض جديدة .

لقد كان يعالج القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية في هذا الدين الكريم، فقضية العقيدة ممثلة في قاعدتها الرئيسية الألوهية والعبودية وما بينهما من علاقة .

إنها قضية الإنسان التي لا تتغير لأنها قضية وجوده في هذا الكون، وقضية مصيره، وقضية علاقته بخالق هذا الكون بكل ما فيه من الأحياء، وكانت العقيدة هي القضية الكبرى التي يقوم عليها وجوده على توالي الأزمان .

ولقد شاء الله تعالى أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول لهذه الرسالة العالمية، وأن يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم الحق، ويُعبدَهم له دون سواه .

إن الناس كل الناس عبيد لله وحده لا شريك له، ولا يكونون عبيداً لله وحده إلا أن ترتفع راية لا إله إلا الله، فالجنسية التي توحد الناس هي جنسية العقيدة التي يتساوى فيها العربي والروماني والفرسي وسائر الأجناس والألوان تحت راية لا إله إلا الله، وبعث رسول الله ﷺ بهذا الدين الذي يعمل على بناء الأخلاق التي لا تقوم إلا على أساس من العقيدة التي تضع الموازين، وتحدد القيم، وتقرر السلطة التي تعتمد عليها هذه الموازين والقيم، وبدون هذه العقيدة تظل القيم والأخلاق كلها

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

متأرجحة بلا ضابط ؛ لأن بالعقيدة الحقّة يتطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته، وقد قام النظام الإسلامي بعدل لا يعرف الظلم، وبميزان قسط لا يعرف الجور، ورفع راية الإسلام، وطهر النفوس، وزكى الأخلاق، ونقى القلوب والأرواح؛ لأن الرقابة قامت على رسوخ العقيدة، وقوة الإيمان، ولأن الطمع في رضى الله وثوابه، والخوف من غضبه وعقابه قد قامت كلها مقام الرقابة .

فنظام هذا الدين يتناول الحياة كلها، ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها، وينظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة وحدها، ولكن كذلك في الدار الآخرة، وقد عالج القرآن المكي قضية العقيدة في خلال الثلاثة عشر عاماً .

إن القرآن الكريم يخاطب فطرة الإنسان بما في وجوده هو، وبما في الوجود من حوله من دلائل وإيحاءات .

إن بني الإنسان حين يضلون عن سبيل الله يتخبطون في الضلالات، ويتسكعون في الظلمات، ويغرقون في ألوان الشرك، وأوضار الجاهلية : ﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣٢) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْطًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٣﴾ (١) .

البشر عقولهم قاصرة، قاصرة عن أن تدرك طريق الصلاح بمفردها، أو تستبين سبيل الرشاد بذاتها، إنها لا تستطيع أن تجلب لنفسها نفعاً، أو تدفع ضرراً .

(١) سورة الروم، الآيتان ٣١، ٣٢ .

لا يرتفع عن النفوس الشقاء، ولا يزول عن العقول الاضطراب إلا حين تسلم العقول بأنه سبحانه هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، له الملك كله، وبيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١)، ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٣)، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٨﴾ (٥)، ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٥).

إن إسلام الوجه لله، وإفراده بالعبادة يرتقي بالمؤمن في خلقه، وتفكيره ينقذه من زيغ القلوب، وانحراف الأهواء، وظلمات الجهل، وأوهام الخرافة، ينقذه من المحتالين والدجالين وأحبار السوء ورهبانها ممن يشترون بآيات الله وأيمانهم ثمناً

(١) سورة غافر، الآية ١٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية ١١٢ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة، الآيات ١٣٦ - ١٣٨ .

(٥) سورة البقرة، الآية ١٦٣ .

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

قليلاً . إن التوحيد الخالص يحفظ الإنسان من الانفلات بلا قيد أو حاجز .

إن توحيد الله وإفراده بالعبادة هو العبودية التامة له وحده سبحانه تحقيقاً لكلمة الحق لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيقاً لها في لفظها ومعناها ، والعمل بمقتضاها ، يقيم المسلم عليها حياته كلها ، صلاته ونسكه ، محياه ومماته ، توحيد في الاعتقاد ، وتوحيد في العبادة ، وتوحيد في التشريع ، توحيد تنقى به القلوب والضمائر من الاعتقاد في الألوهية لأحد غير الله ، وتنقى به الجوارح والشعائر من أن تصرف لأحد غير الله ، وتنقى به الأحكام والشرائع من أن تتلقاها من أحد دون الله عز وجل .

التوحيد هو عماد الدين ، وجوهر العقيدة ، وأول الدين وآخره ، وظاهره وباطنه ، قامت عليه الأدلة ، ونادت عليه الشواهد ، وأوضحته الآيات ، وأثبتته البراهين ، نصبت عليه القبلة ، وأسست عليه الملة ، ووجبت به الذمة ، وعصمت به الأنفس ، وحقنت به الدماء ، وامتازت به دار الإيمان عن دار الكفر . وانقسم به الناس إلى مؤمن وكافر ، وسعيد وشقي .

ولقد كانت عناية القرآن بتوحيد الله عظيمة ؛ فهو القضية الكبرى ، قضية العقيدة التي هي قوام الدين كله إنها قوام حياة الضمير ، وقوام حياة الأسرة بأجيالها المتتابعة ، وقوام حياة الإنسانية .

فقضية العقيدة هي قضية هذا الدين الأساسية، وهي القاعدة التي يقوم عليها بناء الدين، وترجع إليها التكاليف والفرائض، وتستمد منها الحقوق والواجبات .

القاعدة التي يجب أن تستقر في النفوس، وترسخ في القلوب قبل الدخول في الأوامر والنواهي، وقبل الدخول في التكاليف والفرائض، وقبل الدخول في الشرائع والأحكام حيث يجب ابتداءً أن يعترف الإنسان بوحدانية الله وربوبيته، وينقي ضميره من شوائب الشرك، وينقي عقله من شوائب الخرافة، وينقي المجتمع من تقاليد الجاهلية؛ لأن الشرك في كل صوره هو المحرم الأول؛ لأنه يجر إلى كل محرم، وهو المنكر الأول الذي يجب رفضه ومحاربته، والتوحيد هو المهمة الأولى لرسول الله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (١)، ﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٢) فالقرآن كله حديث عن التوحيد، وبيان حقيقته، والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الدارين عليه، حديث عن جزاء أهله وكرامتهم عند ربهم كما أنه حديث عن ضده من الشرك بالله، وبيان حاله وأهله، وسوء منقلبهم في الدنيا، وعذاب الهون في الآخرة : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٣)، لأن الله لا يغفر أن

(١) سورة النحل، الآية ٣٦ .

(٢) سورة الزخرف، الآية ٤٥ .

(٣) سورة الحج، الآية ٣١ .

يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وقال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ يَبْنَىٰ لَا شُرَكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(١) والأوامر والنواهي، ولزوم الطاعات، وترك المحرمات هي أسس التوحيد وحقوقه ومكملاته، القرآن العظيم يخاطب الكفار بالتوحيد ليعرفوه، ويؤمنوا به ويعتقوه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أُعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(٢) ، ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٣) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٤) ، وكل نبي يقول لقومه : ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾^(٥) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(٦) ، والتوحيد يخاطب به المؤمنون ليزدادوا إيماناً، وليطمئنوا إلى تحقيق توحيدهم، وليحذروا النقص فيه أو الخلل : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٧) .

ومن صفات عباد الرحمن : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾^(٨) ومن نعوت أهل الإيمان الموعودين بالتمكين في الأرض، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) سورة لقمان، الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١ .

(٣) سورة الذاريات، الآيتان ٥٠ ، ٥١ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ٥٩ .

(٥) سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .

(٦) سورة النساء، الآية ١٣٦ .

(٧) سورة الفرقان، الآية ٦٨ .

لَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُوا بِي شَيْئًا ﴿١﴾ ، بل لقد خاطب الله أنبياءه ورسله بنبذ الشرك والبراءة من أهله ، والإعراض عنه وعنهم ، فقال جل وعلا : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ﴿٢﴾ وقال عز وجل : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاتِنَا وَحَدًّا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٤﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿٦﴾ ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهٌ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ ﴿٧﴾ ، ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٨﴾ ، ﴿ اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٩﴾

(١) سورة النور، الآية ٥٥ .

(٢) سورة الحج، الآية ٢٦ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٤) سورة الزمر، الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

(٥) سورة الرعد، الآية ٣٦ .

(٦) سورة القصص، الآية ٨٧ .

(٧) سورة الأنعام، الآية ١٠٦ .

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

ولقد قال إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۝ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ۝ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۝ ﴾^(٣) ، هذا بعض ما جاء في القرآن .

أما السنة فإن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسالته وسيرته من أولها إلى آخرها ، مكيها ومدنيها ، حضرها وسفرها ، كلها تعالج قضية التوحيد ، وتعنى ببناء العقيدة منذ أن أمر بالإنذار في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدَّثُرُ ۝ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ ﴾^(٤) وحتى أمر عليه الصلاة والسلام بإنذار الأقربين من عشيرته ، فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ۝ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابْتَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ الَّذِي يَرِنَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ﴾^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ

(١) سورة إبراهيم ، الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) سورة البينة ، الآية ٥ .

(٣) سورة محمد ، الآية ١٩ .

(٤) سورة المدثر ، الآيات ١ - ٥ .

(٥) سورة الشعراء ، الآيات ٢١٣ - ٢٢٠ .

تُخْرِجُونَ ﴿١﴾، ويواصل جهوده عليه الصلاة والسلام بإظهار دعوته امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿٢﴾، فما ترك عليه الصلاة والسلام تقرير التوحيد وهو وحيد، ولا ذهل عنه وهو محصور في الشعب، ولا انشغل عنه وهو يتلقى الأذى والعنت من بني ثقيف في الطائف عندما توجه إلى ربه متضرعاً متذللاً خاشعاً منيباً، يهتف بالدعاء المؤثر الذي يحرك الوجدان، ويهز المشاعر، وتخضع له القلوب، وتذرف له الدموع : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك » ﴿٣﴾.

ويلزم عليه الصلاة والسلام الإقرار بالتوحيد وهو وحيد مع صاحبه في الغار، فيقول : « ما بالك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا ».

وفي المدينة عاصمة الإسلام الأولى، وهو عليه الصلاة

(١) سورة الروم، الآيات ١٧ - ١٩ .

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٤ .

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥/٦، كنز العمال برقم (٣٦١٣، ٣٧٥٦، ٥١٢٠).

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

والسلام بين المهاجرين والأنصار، بين أحبابه وأتباعه يأتي الإذن بالقتال والجهاد مقترناً بالتوحيد، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾^(١)، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُكَلِّمُونَ النَّاسَ بِالْحَقِّ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَشَاءُ ﴾^(٢)، إلى فتح مكة حين كسر رسول الله ﷺ الأصنام بيده الشريفة، وتلا : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٣)، إلى الإعلام بدنو الأجل والاقتراب من اللحق بالرفيق الأعلى، قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّكَ كَانَ تَوَّابًا ﴾^(٤)، فلم تخل مرحلة من هذه المراحل البتة من إعلان التوحيد وشواهدة، ومحاربة الشرك وظواهره، ويكاد ينحصر عرض البعثة كلها في ذلك، فلا انصرف عنه وهو في مسالك الهجرة والعدو مشتد في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعوانه، ولا أغلق باب دراسته والتعمق فيه بعد فتح مكة الفتح المبين، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عند تكرار عرض البيعة على التوحيد، ونبد الشرك، قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾^(٥) فهذه سيرته الناصعة

(١) سورة الحج، الآية ٤٠ .

(٢) سورة الحج، الآية ٣٩ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨١ .

(٤) سورة النصر، كاملة .

(٥) سورة الممتحنة، الآية ١٢ .

وأحاديثه الصحيحة، والقرآن من وراء ذلك كله، من أجل هذا كان التوحيد أولاً، ولا بد أن يكون أولاً في كل عصر وفي كل مصر .

أما أركان الإسلام الخمسة الكبرى، ومعالمه العظمى فشرعت لتعلن التوحيد، وتجسده، وتقرره، وتؤكد إقراراً وعملاً، فالشهادتان إثبات للوحدانية، ونفي للتعدد، وحصر للتشريع والمتابعة في شخص المصطفى المبلغ محمد ﷺ .

والصلاة تعين على الإيمان والشفاء، يقول الله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ (١) والصلاة في الإسلام عماد الدين، وهي كالعبادة مفهوم شامل لكل ما يصل العبد بربه، ولها مفهومها الخاص الذي حددته الشريعة استعداداً لها (بالتطهر والاتجاه إلى القبلة . . .) وأدائها في أوقات معينة، ولمناسبات معينة : الصلوات الخمس في اليوم والليلة : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٢)، وقوله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ ﴾ (٣)، والجمعة والعيدان : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)، وقال تعالى : ﴿ فَصَلِّ

(١) سورة البقرة، الآيتان ٤٥، ٤٦ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٨ .

(٣) سورة هود، الآية ١١٤ .

(٤) سورة الجمعة، الآية ٩ .

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

لِرَبِّكَ وَأَنحَرَّ ﴿٢﴾ ﴿١﴾، ثم الصلاة حيث تدعو لها الحاجة كالجنائز والاستسقاء والكسوف أو الخسوف . . . إلخ .

والصلاة صلة بين العبد وربّه، والصلاة في جماعة صلة بين العبد وإخوانه، وفي أدائها صلة بين أجيال متتابعة، وأقطار وإن تباعدت فلها في الإسلام امتدادها التاريخي واتساعها المكاني وتكاملها مع العبادات الأخرى، وفي الصلاة خلاصة الإسلام مما يجعلها تمس النفس الإنسانية، ويستطيع المسلم أن يؤديها في الإقامة والسفر، والأمن والخوف، والصحة والمرض، قائماً وقاعداً ومستلقياً وبالإيماء وحركة العين، قال عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين رضي الله عنه : « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب . . . » الحديث . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ﴿١٠٢﴾ ، وقال تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ﴿٢٤٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ

(١) سورة الكوثر، الآية ٢ .

(٢) سورة النساء، الآيتان ١٠١، ١٠٢ .

تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وإذا لم يجد المسلم ماءً تيمم صعيداً طيباً، قال تعالى : ﴿... فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ (٢) الآية .

الصلاة تجمع قواعد الإسلام الأخرى، فيها الشهادتان، والتكبير (الله أكبر) هذه الكلمة الموجزة البليغة المعجزة المدوية التي تخلع قلوب الجبابرة، وتهز عروش الأكاسرة؛ لأن الله أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، والمنبىء عن طرح كل من سوى الله عز شأنه، واستصغار كل ما دون الله عز وجل .

ناهيك بدعاء الاستفتاح الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح به صلاته، كله توحيد وإخلاص وتقديس وتمجيد وإخبات وإنابة واستغاثة .

وحسبك أن تنظر فيما ثبت في الأحاديث الصحيحة من قوله ﷺ : « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » (٣)، أو قوله ﷺ : « اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم اغسلني بالماء والثلج والبرد ونقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس » (٤)،

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٣٨، ٢٣٩ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٦ .

(٣) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين من الصحابة) برقم (١١٢٦٠)، ومسلم في (الصلاة) برقم (٣٩٩) .

(٤) رواه البخاري في (الأذان) برقم (٧٤٤)، ومسلم في (المساجد ومواضع الصلاة) برقم (٥٩٨) .

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

أو « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »^(١).

ناهيك بسورة الفاتحة التي هي ركن في الصلاة، وتمثل الدرة الفريدة في المعجزات السماوية، وما تضمنته من حمد وثناء وتمجيد، وإفراد لله بالعبادة والاستعانة، في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وما يتلو سورة الفاتحة من آيات أخرى كريمة، وما يتبع هذه التلاوة من ركوع لله، وتسبيح، وذكر، ورفع من الركوع وتحميد، وسجود متضمن للخضوع والخشوع بين يدي الله .

وفي الصلاة من الزكاة تقديم جزء من الوقت للعبادة، والوقت هو الحياة، فهي قرينة الصلاة، فالتعبد، والاعتراف للرب بجليل النعم، وإخراجها خالصة لله طيبة بها النفس براءة من عبادة الدرهم والدينار : ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۚ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۖ ﴾^(٢).

وفي الصلاة من الصوم الامتناع عن الطعام والشراب، فالصيام الحق هو الذي يدع الصائم فيه طعامه وشرابه وشهوته من أجل ربه ومولاه .

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند الأنصار) برقم (٢٤٦٩٩)، ومسلم في

(صلاة المسافرين) برقم (٧٧٠) .

(٢) سورة فصلت، الآيتان ٦، ٧ .

وفي الصلاة من الحج التوجه إلى بيت الله، فالحج شعار الأمة كلها في هذه البقاع، فهو التلبية بالتوحيد، ونفي الشرك (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك).

وإذن فالنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج إنما شرعت للتقرب إلى الله، والرجوع إليه، وإفراده بالتعظيم والإجلال، ومطابقة القلب للجوارح من الطاعة والانقياد، وفيما أثر عن نبينا محمد ﷺ في الورد اليومي : « أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما، وما كان من المشركين »^(١). وفي دعاء المصطفى عليه الصلاة والسلام : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم »^(٢).

ثم إن الصلاة عمل يشترك فيه الجسم واللسان والعقل والقلب، ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها ممثل تمثيلاً حكيماً عادلاً؛ فللجسم قيام وركوع وسجود وانتصاب وانحناء، ولللسان تلاوة وتسبيح، وللعقل تفكير وتدبر وتفهم وتفقه، وللقلب خشوع ورقة وطمع في المزيد من فضل الله، وقد أعطى الله تعالى

(١) رواه الإمام أحمد في (مسند المكيين) برقم (١٤٩٣٥)، والدارمي في (الاستئذان) برقم (٢٦٨٨).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في (العلل المتناهية) برقم (١٣٧٩) ٢/٣٣٩، وأخرجه ابن السني في (عمل اليوم والليلة) باب الشرك برقم (٢٨٧) والبخاري في (الأدب المفرد) برقم (٧١٦).

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

في كتابه المحكم كلاً نصيبه فقال : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) كل ذلك من أعمال الجسد، وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ^(٣) فنص على أن الصلاة لا بد أن تكون عن تعقل وشعور، وذلك من أعمال العقل، وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٤) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ^(٥) والخشوع من أعمال القلب، وقال تعالى : ﴿ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ^(٥) والخوف والطمع من أعمال القلب .

ثم إن الصلاة تجمع بين الانعزال عن الحياة والاندماج فيها، انعزال عنها بأداء الصلاة والانشغال بها وترك ما يشغل الإنسان من عمل أو تجارة، وفي أثنائها يسمع قراءة القرآن، ويدعو ربه، والاستماع تعلم وتذكر يعود عليه بالنفع في حياته اليومية، وصلاة النهار في السر عندما ترتفع أصوات الناس بالحوار والحديث، وصلاة الليل جهرية عندما يهدأ الناس، وبهذا كان فيها خروج عن مألوف عمله حتى في درجة الصوت، ثم عودة

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٨ .

(٢) سورة الحج، الآية ٧٧ .

(٣) سورة النساء، الآية ٤٣ .

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان ١، ٢ .

(٥) سورة السجدة، الآية ١٦ .

إلى الحياة بزاد يغذي القلب والفكر ويزكي الخلق، ولهذا كان من قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أرحنا بالصلاة يا بلال »^(١).

ويستحب للعابد أن يكثر فيها الدعاء وبخاصة في السجود، وخاتمة التشهد، وبعد السلام، يقول عليه الصلاة والسلام : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »^(٢). ويقول الله عن الصلاة، وكيف أنها تعين على أمر الحياة : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾^(٣).

فلهذا لم تكن هذه الأدلة المتكاثرة والحجج المتظاهرة والبراهين المتوافرة إلا لعظم الأمر، وخطر شأن القضية، وشدة شأن الخوف على الناس من الانحراف، والقلوب من الزيغ، ولماذا لا يخاف عليهم والشياطين ما فتأت تترصد لبني آدم تجتالهم، وتغويهم، وفي الحديث القدسي : « خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً »^(٤).

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند الأنصار) برقم (٢٢٥٧٨)، وأبو داود في (الأدب) برقم (٤٩٨٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (٩١٦٥)، ومسلم في (الصلاة) برقم (٤٨٢).

(٣) سورة الحجر، الآيات ٩٧ - ٩٩.

(٤) رواه الإمام أحمد في (مسند الشاميين) برقم (١٧٠٣٠)، ومسلم في (الجنة وصفة نعيمها) برقم (٢٨٦٥).

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

كيف لا يكون الخوف من الشرك والرسول ﷺ خاطب أصحابه وهم الصفوة المختارة من الأمة : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر »^(١). ويزداد الخوف حين يتأمل المتأمل قوله صلى الله عليه وسلم : « الشرك أخفى في الأمة من ديب النمل »^(٢) بل لقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن فئاماً من الأمة تعبد الأوثان .

وإذن فالأمر في غاية الدقة والخطورة، شرك خفي في المحبة والخضوع والتذل ؛ من أعطى حبه وذله وخضوعه وتسليمه وانقياده وطاعته لغير الله، كيف يكون قد حقق التوحيد ! ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾^(٣)، ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤).

وتعددت أنواع الشرك، فهذا مشرك في الخوف والرجاء، وآخر في الجهاد بالرياء والسمعة، وذاك مشرك في باب الأسباب، وآخر في باب النفع والضرر، وانظروا في السحر والشعوذة، والتطير والتشاؤم، والرقى والتمايم، والحلف بغير الله، في صور لا تكاد تحصر .

(١) رواه الإمام أحمد في (باقي مسند الأنصار) برقم (٢٣١١٩) .

(٢) رواه الإمام أحمد في (مسند الكوفيين) برقم (١٩١٠٩) .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٢١ .

(٤) سورة التوبة، الآية ٣١ .

ناهيك بدعاء غير الله، والاستعانة بأصحاب القبور، والغلو في الصالحين، والطواف حول الأضرحة، يدعون عندها ثم يدعونها، ويذبحون عندها ولها، ويتمسحون، ويتطور الحال حتى يتخذوها عيداً .

وصورة جديدة من صور الخلل في التوحيد باءت بها فئات من المنتسبين إلى الإسلام تزعم الثقافة والمعرفة، لا ترضى بحكم الله، ولا تسلم له؛ بل إن في صدورهم لحرماً، وفي قلوبها لمرضاً، وتضيق ذرعاً، إذا أقيم حد من حدود الله ارتعدت فرائصهم، واشمأزت قلوبهم .

ولهم إخوان يمدونهم في الغي، يزعمون الحفاظ على حقوق الإنسان، وما ضاعت حقوق الإنسان وحقوق الأمم إلا بهم وبأمثالهم، الإسلام عندهم جناية على الحقوق، والحدود في نظرهم قسوة وبشاعة وتخلف، وحكم الردة تهديد لحرية الفكر والإبداع، وأحكام الشرع كلها عودة إلى عصور الظلام والتعصب والانغلاق : ﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥) (١) .

والتوحيد صعب على الأذلاء، ومن سيموا الخسف والذل والتبعية : ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٥) (٢) . صعب على من استمرأوا الفساد، وولغوا في الأوحال : ﴿ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ

(١) سورة النساء، الآية ٦٥ .

(٢) سورة ص، الآية ٥ .

العقيدة هي الأساس والعبادة هي البناء القائم على أصل العقيدة ————— د. محمد أحمد الصالح

وَحَدَّهُ أَشْمَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١﴾. إنهم ينكرون التوحيد، ولا يعرفون صفاء العقيدة، مُستعبدون في فكرهم، مشركون في تفكيرهم، وقالوا للذين كفروا وكرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر، بل لعلهم قالوا سنطيعكم في كل الأمر، إنهم حين لم يعرفوا التوحيد، ولم يحققوه، أصبحوا فئة منفصلة عن أمة الإسلام، بفكرها ومعتقداتها، تولي وجهها نحو الشرق أو الغرب، وقد تجلى ذلك في تمردهم على أصالة الأمة، وأمجادها، وتراثها .

وبعد : فإن نعمة التوحيد يخرج بها قلب العبد من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله وتوحيده، يخرج من التيه والحيرة والضلال إلى المعرفة واليقين والطمأنينة والرضى والهداية، يخرج من الدينونة المذلة لأرباب متفرقين إلى الدينونة الموحدة لرب الأرباب : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

وصفوة القول فإن العقيدة هي الأصل والأساس ، والعبادة هي البناء القائم على أساس العقيدة، وتحقيق التوحيد يحتاج إلى يقظة قلبية دائبة دائمة، تنفي عن النفس كل خاطرة تقدح في عبودية العبد لربه، وتدفع كل خرافة شيطانية في كل حركة، أو تصرف، ليكون ذلك كله خالصاً لله وحده دون من سواه . ومع

(١) سورة الزمر، الآية ٤٥ .

(٢) سورة القصص، الآية ٨٨ .

شديد الأسف فإن قوادح التوحيد، ومنقصاته صارت عند كثير من الناس من أخفى المعاصي معنى، وإن كانت من أخطرها حكماً، فلظهور حكمها ترى المسلمين عامتهم يتبرؤون منها، ويغضبون كل الغضب إذا نسبوا إليها، وهم في هذا الغضب محقون، ولكن لخفاء معناها وقع فيها من لا يشعرون .

ولقد قرر أهل العلم أن الخوض في قوادح التوحيد والحديث عن مظاهر الشرك هي منهج القرآن الكريم؛ وذلك من أجل تحذير المسلمين، وليس من أجل الحكم عليهم به؛ فأهل السنة والجماعة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه، وما زال أهل العلم يتكلمون عن أحكام الردة، وأسبابها، وطرق الزيغ والضلال، والتحذير منها . فمن عَلم العقيدة الصحيحة، وعَلِمَها، ودل عليها، ونبه إلى طرق الزيغ والكفر والبدع فقد سلك مسلك حق، ونهج منهج رشد؛ ولهذا فيتعين العناية بالأصول، وما يحتاجه الناس والناشئة، من التفصيل في التوحيد وأنواعه، وحقوقه، وبيان ضده من الشرك، وأنواعه، ومظاهره، وأسبابه، ولا بد من أخذ الناس بفهم الأدلة على ما نطق به القرآن، ونبه عليه؛ إذ هو بين واضح يدرك ببداهة العقل لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولهذا يتعين إخلاص الدين لله وتحقيق التوحيد وعبادة الله والمسارة إلى فعل الخير . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .